

التعليم القرآني في الغرب الإسلامي وأثره في التربية على الوسطية

بقلم

أ.د. عبد الكريم بوغزالة / ط/دكتوراه: مختار قديري
gazala300@gmail.com / guedirimokhtar@gmail.com
قسم أصول الدين - معهد العلوم الإسلامية - جامعة الوادي



ملخص البحث

يدور هذا البحث حول إبراز معالم الوسطية والاعتدال في التعليم القرآني عند المغاربة، وكذا بيان أثر هذا الطابع المغربي في التعليم القرآني على العمق التربوي الوسطي لدى الناشئة. ومن أهم النتائج: الدور الكبير للتعليم القرآني عند المغاربة في تعميق معاني الوسطية والاعتدال، وتعزيز الأمن الفكري لدى الناشئة، ومن أهم التوصيات: تفعيل دور الحواضن القرآنية في العمل على تعميق معاني الوسطية وتعزيز نشر الأمن الفكري، ومحاولة إتاحة الفرصة لها لعرض تجاربها الناجحة في هذا المجال.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه أجمعين:

فهذه مشاركتي في ملتقى الوسطية في الغرب الإسلامي وأثرها في نشر الإسلام في إفريقيا وأوروبا الذي ينظمه معهد العلوم الإسلامية بجامعة حمّ لخضر الوادي بالتعاون مع مخبر إسهامات علماء الجزائر في إثراء العلوم الإسلامية والمنعقد بإذن الله يومي: 14 و15 ربيع الأول 1439 هـ الموافق لـ: 03 و04 ديسمبر 2017. وكان اختياري للمشاركة بالبحث الموسوم بـ: "التعليم القرآني في الغرب الإسلامي وأثره في التربية على الوسطية" فأسأل الله أن يبارك في جهود جميع القائمين على هذا المعهد المبارك، وأن تكلل أعمال هذا الملتقى بالتوفيق والسداد والنفع العميم.

إشكالية البحث: يهدف البحث للإجابة عن السؤال الرئيس: ما دور التعليم القرآني في بلاد الغرب الإسلامي في التربية على الوسطية والاعتدال؟ ويتفرع عنه الأسئلة التالية:

- ما مفهوم كل من: التربية، الوسطية، الغلو، التعليم القرآني، الغرب الإسلامي؟
- ما هي الطريقة التقليدية والحديثة للتعليم القرآني في بلاد الغرب الإسلامي؟

- ما هي معالم الوسطية والاعتدال في التعليم القرآني عند المغاربة؟
 - وما هو أثر الطابع المغربي في التعليم القرآني على العمق التربوي الوسطي لدى الناشئة؟
 - ما هي التوصيات المقترحة لتفعيل دور التعليم القرآني؟
- أهمية البحث:

- بيان عناية القرآن الكريم بالفكر الذي هو محل العقل، واستخدامه منهج الوسطية والاعتدال.
 - بيان أن القرآن الكريم هو كتاب تربية وتركيز للنفس.
 - إبراز دور التعليم القرآني في بلاد المغرب العربي في تربية النشء وتحصينه من التطرف والغلو.
- أهداف البحث:

- بيان مفهوم الحواضن القرآنية، والتربية، والوسطية.
- التعريف بطرق التعليم القرآني التقليدية والحديثة في بلاد الغرب الإسلامي.
- التعرف على معالم الوسطية في التعليم القرآني عند المغاربة.

الدراسات السابقة:

البحث الأول بعنوان: "تربية القرآن الكريم على الوسطية، ودور المؤسسات القرآنية في تحقيقها" للدكتور عثمان بن محمد الصديقي المقدم لملتقى التربية بالقرآن الكريم مناهج وتجارب الذي عقدته جمعية تبيان بالتعاون مع جامعة أم القرى، يومي: 22-23 ربيع الثاني لعام 1436هـ، فهذا البحث ركّز فيه الباحث على بيان مواطن تربية القرآن الكريم كطاعة ولي الأمر وحرمة الدماء، والمجادلة والحوار، ...، والوسائل الكفيلة بتحقيق التربية على الوسطية في المؤسسات القرآنية.

والبحث الثاني "معوقات التربية بالقرآن" للدكتور العباس بن حسين الحازمي، المقدم لنفس الملتقى السابق، والذي ركّز فيه الباحث على مدى تأثير آيات القرآن الكريم على الجوانب العقدية والسلوكية والأخلاقية والعلمية والفكرية والثقافية، وغيرها، ومعوقات التربية بالقرآن عموماً

أما بحثي فقد تميز عن البحثين السابقين بكونه حاول إبراز معالم تأثير التعليم القرآني المغربي على غرس وتعميق معاني الوسطية والاعتدال ومجانبة الغلو والتطرف والانحراف لدى الناشئة.

منهج البحث: تسير الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي حيث يستفيد منه الباحث في الوقوف على دور التعليم القرآني في بلاد الغرب الإسلامي في تربية النشء على الوسطية والاعتدال.

خطة البحث: تتمثل في مقدمة وأربعة مطالب، شرحت في المطلب الأول مصطلحات البحث، وفي الثاني أعطيت نبذة مختصرة عن التعليم القرآني في الغرب الإسلامي، ثم بينت معالم الوسطية والاعتدال في التعليم القرآني عند المغاربة في المطلب الثالث، وخصصت المطلب الأخير لبيان أثر الطابع المغربي في التعليم القرآني على العمق التربوي الوسطي لدى الناشئة، ثم الخاتمة التي تضمنت أهم النتائج والتوصيات والفهارس.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المطلب الأول: شرح مصطلحات البحث

قبل البدء في صلب الموضوع سنحاول في هذا المطلب التطرق لشرح أهم المفاهيم والمصطلحات التي استخدمت في هذه الدراسة، وهي كالآتي:

أولاً: مصطلح التربية:

1. التربية لغة: تدور معاني مادة ربي في كتب اللغة على الزيادة والنماء والنشأة والعلو، قال صاحب المعجم الوسيط "رباه: ناه وفلانا غذاه ونشأه ونمى قواه الجسدية والعقلية والخلقية"⁽¹⁾، وقال الزبيدي: "وَرَبَّ وَكَدَّهُ وَالصَّبِيَّ يَرْبُهُ رَبًّا "رَبًّا": أَي أَحْسَنَ الْقِيَامَ عَلَيْهِ وَوَلِيَهُ "حَتَّى أَدْرَكَ": أَي فَارَقَ الطُّفُولِيَّةَ"⁽²⁾.

وعليه فإن معنى التربية تدل على حسن القيام على الطفل وغيره حتى ينشأ ويتربص ويصل إلى التمام.

2. التربية اصطلاحاً: قد عرفت التربية بعدة تعاريف، منها: تعريف الراغب الأصفهاني للتربية بصفة إجمالية بأنها: "إنشاء الشيء حالاً فحالاً إلى حد التمام"⁽³⁾، وعرفها النحلوي من الجانب الشرعي بأنها: "النظام التربوي والتعليمي الذي يستهدف إيجاد إنسان القرآن والسنة أخلاقاً وسلوكاً مهما كانت حرفته أو مهنته"⁽⁴⁾.

ثانياً: مصطلح الوسطية:

1. الوسطية لغة: ورد مصطلح الوسطية في كتب اللغة تحت مادة "وسط" بعدة معانٍ نذكر منها: الرفعة والفضل، والعدل، والتوسط والنصف، والخيار، والتمكن، والكرم، والتوسط بين طرفين، وتطلق كذلك كلمة "واسط" على المدينة المشهورة الواقعة في العراق، وعلى عدد من مدن البلدان الإسلامية⁽⁵⁾.
ويبدو أن مصطلح الوسطية من الألفاظ المشتركة التي يجب الاهتمام إلى المعنى المقصود من خلال النظر في الدلائل والقرائن.

2. الوسطية اصطلاحاً: كل التعاريف التي وقفت عليها في المعنى الاصطلاحي للوسطية لا تخرج عن المعنى اللغوي، ومنها:

ما عرفه ابن جرير الطبري: الوسط هو الجزء الذي بين الطرفين، مثل وسط الدار، وقد وصف الله هذه الأمة بالوسط؛ لتوسطها في الدين"⁽⁶⁾.

وعُرفت كذلك بأنها "الاعتدال بين الإفراط والتفريط، فلم يغلوا ولم يقصروا في أي مسألة من مسائل

(1) المعجم الوسيط، (1/ 326).

(2) تاج العروس من جواهر القاموس، (2/ 464).

(3) المفردات في غريب القرآن، (ص: 336).

(4) أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع، (ص: 21).

(5) ينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (3/ 1167)، و معجم مقاييس اللغة لابن فارس، (6/ 108)، و لسان العرب، (7/ 426-432).

(6) جامع البيان في تأويل القرآن، (3/ 142).

الدين، وذلك لاعتصامهم بالكتاب والسنة وإتباعهم طرق السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار⁽⁷⁾.
وعرفها يسري محمد بأنها: "التوازن بين الأمور المتقابلة، والتوسط بين الأطراف المتباعدة على ما تقتضيه
النصوص الشرعية"⁽⁸⁾.

ومن خلال التعريفات السابقة يمكن الخروج بالتالي الآتية:

- إن الوسطية تكون بين شيئين متقابلين من الأمور الدينية أو الدنيوية.
- إن الوسطية تكون بإتباع النصوص الشرعية لا باختيار الناس وآرائهم وأهوائهم.
- إن اتباع الطريق المستقيم هو الموصل للوسطية.

ثالثا: مصطلح الغلو:

1. الغلو: لغة: قال المناوي: " الغلو تجاوز الحد"⁽⁹⁾ وتكون المجاوزة بمدح الشيء أو ذمه.
2. الغلو اصطلاحا: عرفه ابن تيمية بأنه: " مجاوزة الحد بأن يزداد في الشيء في حده أو ذمه على ما يستحق
ونحو ذلك"⁽¹⁰⁾، وعرفه ابن حجر بقوله: "وأما الغلو فهو المبالغة في الشيء والتشديد فيه بتجاوز الحد"⁽¹¹⁾.
والتعريف الاصطلاحي للغلو يوافق التعريف اللغوي، وكلها تدور على المجاوزة والمبالغة في الشيء بالمدح
أو الذم، سواء كان ذلك في العقيدة أو العبادة وغيرها.

• الألفاظ المرادفة للغلو: الألفاظ المرادفة للغلو كثيرة، منها ما مصدره الكتاب والسنة، ومنها ما هو وليد
يرجع مصدره إلى الصراع الحضاري بين الإسلام وأعدائه، ومن ذلك: الغلظة والفضاضة، والتشدد، والتعسير،
والعنف، والرجعية، والتخلف، والإرهاب...، وغيرها من المصطلحات التي تدور حول مجاوزة الحد، أو التي
يطلقها الغرب في محاولة لتشويه الإسلام وأهله، وذلك بصرف هذه الألفاظ عن معناها الحقيقي.

رابعا: مفهوم التعليم القرآني: هو تلك العملية التي يقوم بها معلم القرآن مع المتعلمين في بيئة تربوية
صالحة، والمتمثلة في تحفيظهم القرآن الكريم، وأحكام التلاوة، والتفسير، واللغة...، وتعددت حواضن
التعليم القرآني في بلدان الغرب الإسلامي، وأصبح لكل نوع منها اسم خاص يميّزها عن غيرها، ومن ذلك:

1. حواضن التعليم القرآني القديمة: تتمثل في:
 - المسجد: لغة: الموضع الذي يسجد فيه وتوضع فيه الجبهة، ثم أطلق هذا الاسم على الأماكن التي يتعبد
فيها كمحراب البيت والمصل الذي يجتمع فيه المسلمون لأداء الصلاة⁽¹²⁾.

(7) مجلة البحوث الإسلامية، (72 / 161).

(8) طريق الهداية مبادئ ومقدمات علم التوحيد عند أهل السنة والجماعة، (ص: 225).

(9) التعاريف، (ص: 540).

(10) اقتضاء الصراط المستقيم، (1 / 328).

(11) فتح الباري، (13 / 278).

(12) ينظر: تاج العروس، (8 / 174).

اصطلاحاً: المسجد هو كل مكان من الأرض أعد لإقامة الصلاة فيه على الدوام⁽¹³⁾.

• الزوايا: لغة: الزاوية الركن من البناء، وهي تطلق على المسجد غير الجامع الذي ليس فيه منبر، والذي يكون مأوى للمتصوفين والفقراء⁽¹⁴⁾.

اصطلاحاً: الزاوية عبارة عن مؤسسة دينية إسلامية، ظهرت في الغرب الإسلامي خلال القرن الخامسة للهجرة، لها عدد من بنايات التي تستخدمها في الجوانب الدينية والتعليمية والاجتماعية، ولها دور كبير في تربية الناشئة وفي نشر القرآن الكريم وحفظه ومدارسه، ونشاطها ووظائفها تختلف باختلاف البلدان والقائمين عليها⁽¹⁵⁾.

• الكتّاب (الكتاتيب): لغة: الكتّاب بضم الكاف وتشديد التاء المكان الذي يتعلم فيه الطفل القرآن الكريم قراءة وكتابة، وجمعها كتاتيب⁽¹⁶⁾، وهي من الألفاظ التي كانت تستعملها العرب في العهود الأولى للإسلام. اصطلاحاً: الكتّاب هي أحد المؤسسات التعليمية التي كان لها دور كبير في نشر القرآن الكريم في القرى والمدن، وبين الطبقات المختلفة للمجتمع، خاصة في القرون الأولى، ولم يقف دور الكتّاب عند هذا الحد من تحفيظ القرآن الكريم، بل تجاوزه لتعليم القراءة والكتابة، واللغة العربية، وتلقي مبادئ الدين الإسلامي⁽¹⁷⁾، وعادة ما تكون هذه الكتاتيب تابعة للزوايا أو ملحقة بالمساجد.

• الرباط: لغة: الرباط "ملازمة ثغر العدو وأصله أن يربط كل واحد من الفريقين خيله ثم صار لزوم الثغر رباطاً"⁽¹⁸⁾.

اصطلاحاً: الرباط يشبه كثيرا الزوايا التي كانت منتشرة في البلاد الإسلامية من ناحية الوظائف والنشاطات التي يقوم بها، ويختلف عنها في كونه يقوم بالإضافة إلى مهمة التربية والتعليم بمهمة الدفاع عن الوطن⁽¹⁹⁾.

2. حواضن التعليم القرآني الحديثة: ومن أهمها:

• جمعية تحفيظ القرآن الكريم (المدرسة القرآنية): لغة: (الجمعية) "طَائِفَةٌ تتألف من أَعْضَاءٍ لَغَرَضٍ خَاصٍ وفكرة مُشْتَرَكَةٍ وَمِنْهَا الْجَمْعِيَّةُ الْحَثْرِيَّةُ الْإِسْلَامِيَّةُ وَالْجَمْعِيَّةُ التَّشْرِيْعِيَّةُ وَالْجَمْعِيَّةُ التَّعَاوُنِيَّةُ وَالْجَمْعِيَّةُ الْعِلْمِيَّةُ وَالْأَدْبِيَّةُ"⁽²⁰⁾.

(13) مقال بعنوان: "حكم مصليات الأعياد وهل تأخذ حكم المساجد"، مجلة البحوث الإسلامية، الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء، العدد 79، الإصدار: من رجب إلى شوال لسنة 1427هـ، (79/232).

(14) المعجم الوسيط، (1/408).

(15) عناية المسلمين بالوقف، (ص: 9، 10).

(16) المعجم الوسيط، (2/775).

(17) ينظر: الفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، (15/295)، وعناية المسلمين بالوقف، (ص: 15)، والمدخل لدراسة القرآن الكريم، (ص: 421).

(18) لسان العرب، (7/302).

(19) ينظر: التربية ومتطلباتها، (ص: 27).

(20) المعجم الوسيط، (1/135).

اصطلاحاً: هي عبارة عن مدرسة تهتم بتعليم القرآن الكريم وعلومه، لها نشاط واسع من حيث مكان التدريس، والأجهزة الإدارية والتعليمية المستخدمة، والعدد الكبير للمدرسين والطلاب والمشرفين، وتتميز عن المدارس القرآنية القديمة بقوانينها وأنظمتها وأهدافها وطموحاتها غير المسبوقة (21).

خامساً: مفهوم الغرب الإسلامي: نقصد بالغرب الإسلامي الرقعة الجغرافية التي تضم المغرب الثلاثة: المغرب الأقصى: قاعدته في صدر الإسلام مدينة فاس ثم مراكش، ويشتمل على عدة مدن منها: فاس ومكناسه وسلا ودرعه، وهي المملكة المغربية اليوم.

المغرب الأوسط: قاعدته في صدر الإسلام مدينة تلمسان، ويشتمل على عدة مدن منها: تنس وجيجل والقلعة والسيلة وطبنة ومليلة، وغيرها من المدن، وهي مدينة الجزائر اليوم.

المغرب الأدنى: وقاعدته في صدر الإسلام مدينة القيروان، وقد اشتمل هذا الإقليم على عدة مدن منها: باجة ويونة وبنزرت وقسطيلة وشفافس وقفصة وتونس وسوسة، وغيرها من المدن، وهي مدينة تونس اليوم (22).

المطلب الثاني: نبذة مختصرة عن التعليم القرآني في الغرب الإسلامي

سنعرج في هذا المطلب على الطريقة التقليدية والحديثة في التعليم القرآني، من خلال الآتي:

أولاً: التعليم القرآني على الطريقة التقليدية

ويتضمن هذا الفرع النقاط الآتية:

1. سن ابتداء التعليم: كان المغاربة إذا بلغ الصبي الخامسة أو السادسة من العمر يسوقه أبوه إلى الكتاب، ويوصي عليه المعلم، ويتفق معه على الأجرة، وعلى من يرافق الصبي في الذهاب والإياب (23).
- وكان التعليم القرآني شاملاً للجنسين البنين والبنات، لاسيما عند ميسوري الحال وأرباب المناصب العالية (24).

وكان يعاب ويعاتب الذي لا يدخل ابنه للكتاب، بل قد يضطر إلى نفيه وطرده إذا أبي، قال أبو عمران الفاسي: "ومن أبي طرد ونفي إن قُدر عليه، لهدمه ركنا من أركان الدين، ولا تجوز شهادته، ويؤدب أدبا وجيهاً" (25). وإن كان في كلام أبي عمران شيء من الشدة، إلا أنه يبين مدى عناية المغاربة بتعليم القرآن الكريم لأبنائهم في سن مبكرة.

2. طريقة التعليم القرآني:

- حفظ الحروف الهجائية (ألفبا): فيبدأ التلميذ في سن مبكرة بحفظ حروف الهجاء مفردة حسب الترتيب المعتمد عند المغاربة؛ وبعدها ينتقل إلى تعلم الحركات، وبعد إتقانه للحروف وعوارضها ينتقل التلميذ إلى

(21) ينظر: عناية المسلمين بالوقف، (ص: 13).

(22) ينظر: الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، (1/ 127).

(23) آداب المعلمين، (ص: 50).

(24) ينظر: آداب المعلمين، (ص: 38).

(25) الفوائد الجميلة على الآيات الجميلة، (ص: 291، 292).

مرحلة ثانية وهي تعلم قراءة الحروف مركبة، ويكون عن طريق الكتابة والقراءة في اللوح ويتدرج من البسملة ثم الفاتحة فالناس، وهكذا حتى يتعلم ويتقن قراءة الحروف مركبة⁽²⁶⁾.

• حفظ بعض السور القصار: وكانوا يبدؤون القراءة بسورة الناس ثم يصعدون بخلاف ما هو واقع اليوم من البدء بالفاتحة ثم النزول إلى سورة الناس، قال ابن جزي: "فضلاً على أنه قد أجمع المسلمون على تعليم القرآن في الكتابيب بالبدء بسورة الناس ثم يصعد الطالب بعكس السور، ولم يخالف في هذا أحد"⁽²⁷⁾.

• مرحلة الإملاء: وبعد تمكن الطفل من كتابة وقراءة الحروف ينتقل إلى مرحلة الإملاء، حيث كان المؤدب يجلس في صدر الكتاب، وكان التلاميذ يتحلّقون حوله في نصف دائرة، وإذا كثروا تعدد الدائرة، وكان بيد كل واحد من التلاميذ لوحة كبيرة أو صغيرة من الخشب، وعندما يجين موعد الإملاء يستملون المؤدب بالنطق برأس اللوح القديم فيكمل لهم، ويواصل الإملاء تلقائياً إلى أن يشير إلى التلميذ بالتوقف عندما يدرك أن ما كتبه يكفيه، وبعد الانتهاء يقوم المؤدب بتصحيح رسمه وضبطه.

وبعد التصحيح يتراجع التلميذ ويأخذ مكانه في الحلقة ويشرع في حفظ اللوح القديم متحركاً بجسمه ورأسه أماماً وخلفاً وأحياناً يميناً وشمالاً، وهو يقرأ بصوت عال، فإذا حفظ التلميذ اللوح يستظهره على المؤدب وإذا أجازته فإنه يقوم بمحوه بالطين والماء، وبعد تحفيفه بالشمس أو الهواء أو المدفأة يكتب اللوح الجديد وهكذا حتى يأتي على القرآن الكريم كله كتابة وحفظاً⁽²⁸⁾ حتى ينهي الحتمة، ثم ينتقل إلى مرحلة السلكتة.

• السلكتة: فإذا ختم الطالب القرآن الكريم (الحتمة)، يبدأ السلكتة من سورة البقرة (ألم) بالربع أو النصف حسب قدرة الطالب، ويعيد الحتات والسلكات عدّة مرات إلى أن يجيد حفظ القرآن الكريم جيداً⁽²⁹⁾.

• المواد المدرسة: كان المغاربة يقتصرون في الولدان على تحفيظ القرآن مع إعرابه ورسمه وشكله دون سائر العلوم الأخرى، قال ابن خلدون: "فأما أهل المغرب فمذهبهم في الولدان الاقتصار على تعليم القرآن فقط، وأخذهم أثناء المدارس بالرسم ومسائله واختلاف حملة القرآن فيه، لا يخلطون ذلك بسواه في شيء من مجالس تعليمهم، لا من حديث ولا من فقه ولا من شعر ولا من كلام العرب، إلى أن يجذق فيه أو ينقطع دونه، فيكون انقطاعه في الغالب انقطاعاً عن العلم بالجملة"⁽³⁰⁾.

ولقد كان لهجرة أهل الأندلس إلى بلاد المغرب تأثير كبير في إدخال العلوم الأخرى كالفقه والحديث واللغة إلى جانب حفظ القرآن الكريم، كما علموا روايات القرآن وأنواع قراءاته⁽³¹⁾.

(26) ينظر: مقال بعنوان الشيخ الحسين حمادي ومنهجه في التعليم القرآني، أ. د عبد الكريم بوغزالة، والصادق ذهب، مجلة المنهل، غير إسهامات علماء الجزائر في إثراء العلوم الإسلامية، مطبعة سامي، الوادي، ع: 3، س: 02، جوان: 2016، (ص: 171، 172).

(27) شرح مقدمة التسهيل لعلوم التنزيل، (ص: 54).

(28) ينظر: تاريخ الجزائر الثقافي، (ص: 339، 340).

(29) ينظر: القراء والقراءات بالمغرب، (ص: 11).

(30) مقدمة ابن خلدون، (353/2)

(31) ينظر: تاريخ الجزائر الثقافي، (47/1)

• تعليم القراءات: والسنة المتبعة بالمغرب أن الطالب بعد إجابة لقراءة الإمام نافع برواية ورش ثم قالون(التحنيش)، يمكنه بعد ذلك الانتقال إلى أخذ قراءة ابن كثير(مكي) وأبي عمرو البصري(سما)، ثم السبع حزة(32).

وقال محمد بن سحنون في بيان القراءة التي ينبغي أن تعلم للصبيان في الكتابيب فقال: "والأنسب أن تكون بقراءة نافع لحسن طريقتهما وأيضا لأن مالكا أخذ عن نافع"(33).

3. أوقات التعليم: كان التعليم القرآني في الكتاب طيلة أيام الأسبوع إلى زوال يوم الخميس، ويوم الجمعة عطلة، وكانت لهم عطلة أخرى كعطلة عيد الفطر يوم أو ثلاثة أيام، والأضحى ثلاثة أيام أو خمسة، وعطلة ختم القرآن الكريم وسواه من المناسبات التي يختلف تقدير مدته من بلد لآخر(34).

أما عن وقت جلوس المعلم وقيامه من التعليم فيكون من الصبح إلى المغرب، أو من طلوع الشمس إلى الاصفرار، حسب العرف، وحسب ما تعاهده أهل التعليم في كل بلد(35).

ومن البرامج الدراسية اليومية التي كانت سائدة في الكتاب عندنا في الجزائر أن التلاميذ يذهبون مرتين إلى الكتاب، ويقون مدة ساعتين في كل مرة، فيكون في جلسة الصباح الاستظهار، والمحو والكتابة من جديد، أما الفترة المسائية فهي مخصصة في الغالب لحفظ اللوح القديم استعدادا لعرضه في صباح اليوم التالي، وهكذا، أما العطل فكانت يومي الاثنين والخميس(36).

4. نظام العقوبة: فالمؤدب كان يجلس عادة في صدر الكتاب متربعا على حصير أو نحوه، مسندا ظهره إلى الجدار، مرتديا عمامة وجبة وفوقها أحيانا برنس، ويديه عصا طويلة تصل إلى أبعد تلميذ عند الحاجة، وكان يلتفت يمنة ويسرة يراقب حركات التلاميذ وأداءهم لواجبهم. . . . وأحيانا ينهر تلميذا آخر يراه عابثا أو ضاحكا، وهو يحرك رأسه أذنا لمن يسأله الدخول أو الخروج.

وكان المؤدب يقوم بمعاينة التلاميذ عندما يقومون بتصرفات أو سلوكيات تستحق التأديب، ومن اخف العقوبات التي يلجأ إليها المؤدب التأنيب والنهر بكلمات جافة وشديدة، أو الضرب بالعصا على اليد، ومن أقساها الضرب بالفلاة(37) على الرجل، وفي كل الأحوال كان الآباء يرضون بهذه العقوبات، ولا يصدر منهم أي رد فعل تجاه المؤدب، بل يشكرونه ويحثونه على زيادة العقوبة وتشديدها ويوجهون اللوم كله على التلميذ(38).

5. الوسائل المستخدمة في التعليم: كانت الوسائل المستخدمة في التعليم القرآني قديما بسيطة، ومن ذلك:

(32) ينظر: القراء والقراءات في المغرب، (ص: 11).

(33) آداب المعلمين، (ص: 42).

(34) ينظر: الرسالة المفصلة لأحوال المتعلمين، (ص: 135، 136).

(35) ينظر: آداب المعلمين، (ص: 46).

(36) ينظر: تاريخ الجزائر الثقافي (1/ 340).

(37) ويضرب المؤدب الطالب بالفلاة إذا قام بمخالفة كبيرة كالسرقة وغيرها.

(38) ينظر: تاريخ الجزائر الثقافي (1/ 340، 341).

- مكان الجلوس: الحصير المصنوع من الخلفاء.
 - أدوات الكتابة: يكتبون القرآن على ألواح خشبية بأقلام مصنوعة من القصب، ومداد الكتابة عبارة عن دواة مصنوعة من الصمغ الأسود المستخرج من صوف الضأن والصب بعد حرقه في الدواة والصوف.
 - أغراض أخرى: بعض المصاحف وكتب النحو والصرف والسير⁽³⁹⁾.
- ثانيا: التعليم القرآني على الطريقة الحديثة⁽⁴⁰⁾: ويتضمن النقاط الآتية:
1. طرق التعليم الحديثة: وطرق التعليم القرآني الحديثة المتبعة في جمعيات تحفيظ القرآن الكريم كثيرة تختلف من مدينة إلى أخرى، لكن هناك طريقتان يكثر استخدامهما من أغلب حلقات تحفيظ القرآن الكريم المنتشرة في بلدان الغرب الإسلامي، وهما:

الطريقة الجماعية:

وصف الطريقة: يقوم المعلم بالقراءة النموذجية للجزء المحدد، ثم يقرأ الطلاب واحدا تلو الآخر، ثم يقرؤون قراءة جماعية أو كل واحد على حدا من السورة أو المصحف إلى أن يتم الحفظ، وفي الأخير يعرضون المحفوظ وهكذا.

إيجابيات الطريقة: التقليل من اللحن الجلي والخفي للطلبة، سهولة الحفظ نظرا لكثرة تكرار الجزء المقرر للحفظ، سهولة استخدام وسائل الإيضاح المختلفة، السهولة في بيان الألفاظ الغريبة، تسهيل عملية المتابعة والمراقبة للحلقة من قبل إدارة المدرسة.

سلبات الطريقة: لا تراعي الفروق الفردية بين الطلاب، ولا تسمح بإضافة طلبة جدد، وغياب الطالب فيها له انعكاس سلبي على مسيرته في الحلقة، هذه الطريقة تتطلب مجهودات وإمكانات بشرية ومادية كبيرة مقارنة بالطريقة الأخرى.

الطريقة الفردية:

وصف الطريقة: في هذه الطريقة يفسح المجال للطلبة للانطلاق وحفظ القرآن كل حسب قدراته ومجهوداته، فيقوم المعلم بتلقي كل طالب المقدر الذي يقدر عليه، ثم يقوم الطالب بتسميحه للمعلم لتصويب الأخطاء، ثم ينفرد كل طالب لوحده في الحفظ، وفي الأخير يعرض المحفوظ على المعلم.

إيجابيات الطريقة: مراعاتها الفروق الفردية بين الطلاب، وتحفيزها للطلاب على التقدم في الحفظ في أسرع وقت، وتسمح بفسح المجال أمام الطلبة الجدد للالتحاق، والاستفادة منهم في تدريس زملائهم، لا تحتاج إلى إمكانات مادية أو بشرية كبيرة.

سلبات الطريقة: كثرة اللحن الخفي والجلي نظرا للتعامل الفردي، ضعف متابعة الإدارة للحفظ والأداء، عدم معرفة بعض الطلاب لقدراتهم في الحفظ، الطلاب المتأخرون يشعرون بالإحباط لعدم قدرتهم للحاق

(39) بنظر: زوايا العلم والقرآن في الجزائر، (ص:19)، وتاريخ الجزائر الثقافي، (1/339، 340).

(40) أصل هذا العنصر أخذ من كتاب المدارس والكتاتيب القرآنية وفتات إدارية وتربوية، (ص: من 23 إلى 36).

بزملائهم المتفوقين.

وعلى العموم فالمدارس تطبق كلتا الطريقتين في التعليم القرآني، وذلك مراعاة لقدرة الطالب على الحفظ، فالمتفوقون والذين يحسنون القراءة تصلح لهم الطريقة الفردية، أما المتوسطون والضعفاء في الحفظ فتصلح لهم الطريقة الجماعية.

2. الوسائل المستخدمة: الوسائل المستخدمة في طريقة التعليم القرآني الحديثة كثيرة نذكر منها: القاعات المكيفة والمجهزة بأحدث وسائل الأمان، المصحف، السبورة، أجهزة العرض، أجهزة الإعلام الآلي، آلات التسجيل...

ثالثا: نماذج من المدارس القديمة والحديثة: لعبت المدارس القرآنية في الغرب الإسلامي قدما وحديثا دورا كبيرا في نشر التعليم، والمحافظة على الوحدة المذهبية المتمثلة في المذهب المالكي والوحدة القرائية المتمثلة في قراءة الإمام نافع..

1. نموذج من المدارس التقليدية: ومن أشهر المدارس التقليدية: مدرسة: الخنقة ببسكرة التي لعبت دورا كبيرا في الناحية الجنوبية للبلاد إبان الحقبة الاستعمارية مدرسة الخنقة التي تأسست سنة 1174، وقد اشتهرت هذه المدرسة وقصدها الطلبة من الزيان ووادي سوف والأوراس، وحتى من قسنطينة وعنابة، وقد عرفت هذه المدرسة بتميز طلابها في النحو، ومن خريجي مدرسة الخنقة أحمد التليلي وخليفة بن حسن القماري⁽⁴¹⁾. ولقد كان لهذه المدرسة دور كبير في تحفيظ القرآن الكريم وتعليم مبادئ الدين واللغة العربية، ونشر العلم والثقافة، والمحافظة على الهوية الوطنية للشعب الجزائري.

2. نموذج من المدارس الحديثة: تعد مدرسة عموري للقرآن الكريم التابعة لجمعية العلماء المسلمين من المدارس الحديثة التي لعبت دورا كبيرا في تربية الناشئة منذ تأسيسها سنة 2006، ومن أجل السيورة الحسنة للمدرسة وتأطيرها تم تقسيمها إلى أجنحة وفروع مخصصة للرجال والنساء، مجمل الطلبة والطالبات الذين تخرجوا منذ تأسيسها قرابة 140 طالبا وطالبة.

وتقوم المدرسة بتنظيم الملتقيات الوطنية، وقد كان موضوع الملتقى الأخير الذي نظم هذا العام يصب في نفس موضوع هذا الملتقى الدولي المبارك ألا وهو: الوسطية والاعتدال في القرآن الكريم، وهذا وإن دل فإننا يدل على اهتمام هذه المدرسة بترويض معاني الوسطية والاعتدال.

المطلب الثالث: معالم الوسطية والاعتدال في التعليم القرآني عند المخاربة

هي كثيرة نذكر منها:

أولا: المذهب الواحد:

1. المذهب السائد في الغرب الإسلامي: المذهب الذي استقر في بلاد الغرب الإسلامي إلى يوم الناس هذا هو المذهب المالكي، الذي غمر بلاد الأندلس وشمال إفريقيا بواسطة تلامذة الإمام مالك الذين رحلوا إليه من

(41) ينظر: تاريخ الجزائر الثقافي، (1/284، 297، 350).

أجل طلب العلم، ومن أبرزهم علي بن زياد، والبهلول بن راشد، وعبد الرحيم بن أشرس، وعبد الله بن غانم. . . وعلى هؤلاء وغيرهم بنيت النواة الأولى لصرح الفقه المالكي بالغرب الإسلامي، ثم تفرعت وأبنت وأتت أكلها.

وقد عرفت المدرسة المغربية فترات من الازدهار أيام الإمام سحنون وفترات من الضعف أيام تلاميذ تلاميذه، ثم ازدهرت من جديد على يد ابن زيتون، وكذلك الحال في المدرسة الأندلسية التي قويت أيام يحيى بن يحيى ثم بتلميذه الإمام العتبي، ثم تراجعت وضعفت لفترة من الزمن إلى أن جاء الباجي الذي بث فيها الروح من جديد هو وتلاميذه من بعده⁽⁴²⁾.

2. أسباب اختيار المغاربة للمذهب المالكي: يمكن حصر أسباب اختيار المغاربة للمذهب المالكي في النقاط الآتية:

أسباب ترجع إلى شخصية صاحب المذهب الإمام مالك رحمه الله: لكونه عالم المدينة وقيهاً ولما عرف به من الورع والتقوى لله عز وجل، ولاجتماع أهل المدينة عليه، ولطول إقرائه وإفتائه، وكثرة إملائه ومؤلفاته، ولاشتهار شيوخه به،...، ولحمل بعض العلماء الأثر الوارد في عالم أهل المدينة عليه⁽⁴³⁾، وهذا ما دفع المغاربة يلتفون حوله وحول مذهبه.

أسباب ترجع إلى المذهب: قد وافق هذا المذهب طبيعة المغاربة لعدة أسباب من أهمها: أنه مذهب عملي يعتد بالواقع، ويأخذ بعادات الناس وأعرافهم، واعتماده على الجانب العملي أكثر من الجانب النظري، وقيامه على فقه خيار الصحابة والتابعين، ولبساطته ووضوحه، وبعده عن التكلف والتعقيد، فكل هذه العوامل وغيرها دفعت المغاربة الذين يميلون بفطرتهم إلى البساطة والوضوح للالتفاف حول هذا المذهب⁽⁴⁴⁾.

أسباب ترجع إلى طبيعة الحكم: حيث أجبر بعض السلاطين الناس على الالتزام بالمذهب المالكي والتشبث به في القضاء والفتيا، وفي كل شيء، ومن ذلك قيام الخليفة الأندلسي هشام بن عبد الرحمن بأمر الناس باتباع المذهب المالكي في شؤون القضاء والفتيا، فتحول الناس بسبب ذلك⁽⁴⁵⁾.

أسباب ترجع إلى النقل: كحديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: « يوشك أن يضرب الناس أكباد الإبل يطلبون العلم فلا يجدون أحدا أعلم من عالم المدينة »⁽⁴⁶⁾، وحديث سعد بن أبي وقاص قال: قال رسول الله ﷺ: « لا يزال أهل الغرب ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة »⁽⁴⁷⁾.

(42) ينظر: المذهب المالكي مدارسه ومؤلفاته خصائصه وسننه، (ص: 95-107).

(43) ينظر: مباحث في المذهب المالكي بالمغرب، (ص: 35).

(44) ينظر: مباحث في المذهب المالكي بالمغرب، (ص: 36).

(45) ينظر: مباحث في المذهب المالكي بالمغرب، (ص: 36).

(46) أخرجه الترمذي في سننه، باب ما جاء في عالم المدينة، (4/344)، حديث رقم: (2680)، قال أبو عيسى: "هذا حديث حسن وهو حديث ابن عيينة".

(47) أخرجه مسلم في صحيحه، باب قوله ﷺ: " لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق ..."، (54/6)، رقم: (5067).

ولعل من أهم الأسباب التي دفعت المغاربة لالتزام بالمذهب المالكي والتأثر به هجرة العلماء إلى المدينة النبوية لتلقي العلم على الإمام مالك وتلاميذه من بعده ثم عودتهم إلى ديارهم وتقليده في مذهبه⁽⁴⁸⁾.

3. معالم الوسطية في اختيار المذهب المالكي: تظهر معالم الوسطية في اختيار المذهب المالكي في التعليم القرآني جلية من خلال المذهب المالكي نفسه وحرص أئمنته وعلى رأسهم الإمام مالك على التزام الوسطية والاعتدال وترك التعصب والغلو والتطرف، ويظهر ذلك من خلال:

• الوسطية والاعتدال في أصول المذهب وفروعه وأحكامه:

يقول الدكتور محمد الروكي: "فالتوسط والاعتدال مرعي في أصول المذهب وفروعه، لا إفراط ولا تفريط، ولا ضرر ولا ضرار، ولا إسراف ولا إجحاف، وإذا كانت قد بنيت فيه أحكام على الاحتياط الشرعي، وسد الذريعة، ونحوهما، فإن أحكاما أخرى قد بنيت فيه على الاستصلاح ومراعاة العرف ومراعاة الخلاف ونحوها. فالاعتدال والتوسط حاضر ملحوظ في نسق المذهب ومنظومته العامة وبنائه الكلي"⁽⁴⁹⁾.

نعم فالمذهب المالكي بعيد عن التطرف والتكفير ويدعو إلى الاعتدال والتيسير ورفع الحرج، والأمثلة على ذلك كثيرة، نذكر منها: مسألة مس الذكر فعند أبي حنيفة لا يقض الوضوء، وعند الشافعي وأحمد يقضه، يأتي المذهب المالكي وسطا بين المذهبين فيتقضى عند وجود الشهوة، ولا يتقضى إذا انعدمت، وهذا جمعا بين الأدلة.

• حرص أئمة المذهب على الوسطية والاعتدال:

ويظهر ذلك جليا من فتاويهم، وأرائهم وأقوالهم، ومن ذلك قول الإمام مالك بن أنس رحمه الله: "لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها فما لم يكن يومئذ دينا لا يكون اليوم دينا"⁽⁵⁰⁾، ففيه دلالة واضحة على أن هذه الأمة لن تصلح إلا بالوسطية والاعتدال واتباع الطريق المستقيم الذي التزمه السلف الصالح رضوان الله تعالى عليهم.

كل ذلك كان لها تأثير فعال على أبناء المدارس القرآنية الذين تربوا على هذا المذهب وعلى شيوخ المذهب الذي يدعو للسير على الطريق المستقيم طريق الوسطية والاعتدال في كل شيء.

هذه الوحدة الفقهية لدول الغرب الإسلامي كان لها الدور الكبير والفعال في بث روح التعاون والاتحاد والتماسك بين الدول.

ثانيا: القراءة الواحدة: وكان للوحدة القرآنية الدور الكبير في وحدة وتماسك بلدان الغرب الإسلامي، ويمكن بيان ذلك من خلال النقاط الآتية:

1. القراءة المعتمدة في بلدان الغرب الإسلامي: كان أهل المغرب يقرؤون بقراءة حمزة، ولم يكن يقرأ بقراءة نافع إلا الخواص من الناس، وكان أول من أدخل رواية ورش إلى المغرب وساهم في نشرها أبو عبد الله بن

(48) ينظر: مقدمة ابن خلدون، (ص: 254).

(49) المغرب مالكي، لماذا؟، (ص: 47).

(50) ينظر: مناسك الحج والعمرة للألباني، (ص: 45).

خيرون القيرواني، واستمر الأمر على هذا الحال إلى يوم الناس هذا⁽⁵¹⁾، إلا أن بعضاً من البلاد اختاروا رواية قالون، وبعضهم اختار رواية ورش من طريق الأزرق، وهي على هذا إلى اليوم.

2. عوامل اختيار المغاربة قراءة الإمام نافع: وأشار الدكتور عبد المهدي حميتو إلى أن الدوافع التي أدت بالمغاربة لاختيار قراءة نافع ترجع إلى عدة عوامل، منها:

العلاقة الوثقى بين نافع ومالك، أو بين القراءة والمذهب المدنيين، إثارة مذهب أهل المدينة على غيرها، النقل المزدوج للقراءة والمذهب على أيدي الرواد الأولين، الرغبة في الاستقلال الفكري والسياسي عن السلطة في المشرق، ميل المغاربة إلى الوحدة السياسية والفكرية والمذهبية، الحرص على توحيد القراءة وانعكاساته ودواعيه⁽⁵²⁾.

3. معالم الوسطية في اختيار قراءة الإمام نافع: إن إطباق دول الغرب الإسلامي على قراءة واحدة كان له كذلك الفضل في المحافظة على وحدتها وتماسكها، ويظهر معالم وسطية الوحدة القرآنية في عدة صور، نذكر منها: الصورة الأولى: قيام سيدنا عثمان رضي الله تعالى عنه بجمع الأمة على حرف واحد: وحرقت ما سواه من الحروف حماية لهذه الأمة من التفرق والتشتت كما تفرقت اليهود والنصارى، وذلك يُعد صورة واضحة لدور الوحدة القرآنية في الحفاظ على وحدة هذه الأمة وأمنها.

ويدل عليه حديث البخاري عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما أن حذيفة بن اليمان قدم على عثمان. وكان يغازي أهل الشام في فتح أرمينية وأذربيجان مع أهل العراق. فأفزع حذيفة اختلافهم في القراءة، فقال حذيفة لعثمان: "يا أمير المؤمنين، أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى"⁽⁵³⁾.

الصورة الثانية: قيام ابن مجاهد بتسبيح السبع: وحسم مسألة القراءات المتواترة من الشاذة، صورة من الصور التي تبين دور الوحدة القرآنية في المحافظة على وحدة الأمة وحمايتها من النزاع والتفرق والاضطراب. فتكاثر القراءات وازديادها يوماً بعد يوم في عهد ابن مجاهد حتى أصلها بعضهم إلى خمسين قراءة، وخوفاً من أن فتح بذلك باباً للاضطراب والتحريف والتنازع بين القراء واتباعهم، قام ابن مجاهد بتسبيح السبع وتجنيب الأمة الفتنة والوقوع في الخلاف الذي فر منه سيدنا عثمان رضي الله تعالى عنه.

الصورة الثالثة: التزام كل دولة بقراءة رسمية واحدة:

تتمثل في التزام أغلب البلدان الإسلامية القراءة أو الرواية الرسمية للدولة، والتي تطبع على وفقها مصاحف الدولة، ويقرأ بها في المساجد وخاصة في صلاة التراويح، وذلك كله حماية لأركان الدولة وحفاظاً على تماسكها، فتجد رواية حفص غطت أغلب دول العالم الإسلامي، ثم تأتي في المرتبة الثانية رواية ورش ثم رواية قالون.

(51) ينظر: آداب المعلمين، (ص: 102)، ومعرفة القراء الكبار، (1/181)، والقراء والقراءات بالمغرب، (ص: 13).

(52) للاستزادة أكثر في هذا الموضوع ينظر كتاب: قراءة الإمام نافع عند المغاربة، (1/151 وما بعدها).

(53) أخرجه البخاري في صحيحه، باب كتاب بدء الوحي، (6/222، رقم: 4987).

ثالثا: مكانة معلم القرآن في الكتاتيب: لا يخفى أن لمعلم القرآن في المدارس القرآنية الدور الكبير في تنشئة طلابه على الوسطية والاعتدال ونبذ التطرف والغلو والانحراف، وذلك من خلال احتكاكه المباشر بهم، باعتباره القدوة والنموذج المثالي الذي سرعان ما يتأثر به الطلاب بأفعاله وتصرفاته، وحتى أفكاره وأرائه، وميولاته.

1. القدوة الحسنة: حتى يكون معلم القرآن قدوة حسنة لطلابه ويستطيع أن يغرس فيهم جانب الوسطية والاعتدال، لا بد له أن يكون هو أولا متشعبا ومستوعبا لمفهوم الوسطية وتأصيلاتها من الكتاب والسنة، ولتطبيقاتها العملية⁽⁵⁴⁾.

2. التفقه في الدين: فمعلم القرآن لا بد له أن يجمع بين حفظه للقرآن الكريم والتفقه في العلوم الأخرى كال تفسير والفقه والعقيدة واللغة العربية وغيرها من العلوم النافعة المفيدة.

فالتفقه في مثل هذه العلوم يمكنه من إفادة الطلاب إما بطريقة مباشرة عن طريق مدهم بالتوجيهات والنصائح المتعلقة بوسطية وساحة هذا الدين وبعده عن التطرف والغلو والانحراف وضرب الأمثلة حول معاني الوسطية وتطبيقاتها في حياتنا اليومية، أو بطريقة غير مباشرة عن طريق سرد القصص والتلميح لمواطن الخلل وبيان العلاج المناسب.

3. الفطنة واليقظة والمتابعة: فمن الأمور المهمة التي يستحسن على المدرس في المدارس القرآنية الالتزام بها الفطنة واليقظة الدائمة للسلوكيات أو التصرفات أو الأفكار التي قد يتداولها الطلبة فيما بينهم، والتي قد يكون فيها نوع من الغلو والتطرف والانحراف، وبالتالي محاولة معالجتها في حينها حتى لا تنمو، ويسري خطرهما بين طلاب المدرسة القرآنية.

وعلى المدرس أن يستغل الفترات التي يكون فيها الاحتكاك بالطلبة كفترة المخيمات الصيفية أو الرحلات الموسمية ومخالطة الطلبة ومحاوله جس نبظهم لاستخراج ما فهموه، أو ما قد يعلق بهم من شبهات خارجية تحتاج إلى العلاج والتقويم.

4. فقه الواقع: ومعلم القرآن يستحب له أن يكون على اطلاع دائم بما يدور حوله من حوادث وأخبار خاصة ما تعلق منها بأحوال الأمة الإسلامية، وذلك حتى يتمكن من الرد على الأسئلة التي قد ترد من الطلبة الذين يستقون هذه الأخبار من مصادر مختلفة من قنوات فضائية، وانترنت، ...

رابعا: الحفاظ على الثوابت: من معالم الوسطية كذلك في التعليم القرآني المحافظة على الثوابت والهوية الوطنية للطلاب، وذلك من خلال المناهج والمقررات التي يتلقاها الطالب في المدرسة القرآنية، والتي يأتي في مقدمتها القرآن الكريم والأحاديث النبوية، والعلوم الأخرى كالفقه واللغة، والأشعار،...، ومن الثوابت التي حفظها التعليم القرآني:

1. الإسلام: يظهر دور التعليم القرآني في بلاد الغرب الإسلامي في المحافظة على الدين الإسلامي لهذه الأمة، والمحافظة على وحدتها العقيدية والفقهية(مذهب الإمام مالك) والقرائية، وذلك من خلال المقررات

(54) ينظر: آداب المعلمين،(ص: 49).

والمناهج التي كان المعلمون يدرسونها للصبيان، ومن ذلك:

مقرر القرآن الكريم: (الحفظ، التفسير، الرسم والضبط القرآني، أحكام قراءة نافع، ...).

مقرر الفقه: وذلك عن طريق قيام المؤدب بتعليم الصبيان أحكام الطهارة والصلاة، وتحفيظهم بعض المتون الفقهية، كمتن المرشد المعين على الضروري من علوم الدين لابن عاشر، ومتن الرسالة لابن أبي زيد القيرواني...

2. اللغة العربية: يظهر دور التعليم القرآني في المحافظة على اللغة العربية لغة القرآن، والقضاء على الجهل والأمية، ونشر العلم والثقافة في بلادنا الحبيبة، وذلك من خلال:

• تعليم الحروف العربية للصبيان: فالتعليم القرآني اهتم بتعليم الحروف للصبيان منذ نعومة أظافرهم، كما تم الإشارة إليه في الطريقة التقليدية للتعليم القرآني، وذلك من خلال: التلقين، الإملاء، الكتابة، الحفظ، بالإضافة إلى التصحيح يساهم بدور كبير في تعلم الرسم والضبط القرآني.

• تدريس اللغة العربية: حافظ التعليم القرآني على هذه اللغة من الضياع والنسيان، وذلك من خلال المدارس والتعليم للمتون العلمية في اللغة كمتن الأجرومية، والألفية، وملحة الإعراب،... يقول الدكتور سلمان نصر: "حافظت المدارس القرآنية على كيان اللغة العربية وصرحها الشامخ منذ دخول المستعمر الفرنسي وطيلة تواجده بالجزائر، ولولا تلك المدارس لذهب ربح اللغة العربية في الجزائر، وهوت في قعر سحيق، ولخُرّجت المدارس أجسادا جزائرية بعقول فرنسية"⁽⁵⁵⁾.

3. حب الوطن: ساهم التعليم القرآني في تكوين جيل قرآني مشبع بحب وطنه والمحافظة عليه والعمل لخدمته، والاستعداد للتضحية من أجله، وذلك من خلال: القصص، والأناشيد والأشعار التي تدعو إلى حب الوطن، ومن ذلك أرجوزة "هدية الألباب في جواهر الآداب" للشيخ حسين أفندي الجسر رحمه الله التي كانت تحفظ للصبيان في المدارس القرآنية، والتي تكلم فيها عن محبة الوطن والدفاع عنه ومعنى التمدن المحمود فقال: "محبة الوطن والدفاع عنه ومعنى التمدن المحمود:

وكن محب الوطن المُعظَّم	ذا غيرة عليه للتقدم
فحبه عُدَّ من الإيمان	ويُغضُّه من أعظم الخسران
وابذل لهذا الخلق المجهودا	حتى يكون طبعك المحمودا
فلا ينال المرء من فلاح	حتى تُرى الاوطانُ في نجاح
فخيرها خير لكل وأحد	من أهلها من وأجد أو فأقد
ولا يكون حبا صحيحا	حتى ينالَ حقَّها الترجيحا
على حقوق النفس والأهلينا	والصحب والآباء والبنينا
فما نجاح الأمم الغربية	إلا بهذي الخصلة السنيّة" ⁽⁵⁶⁾

(55) المدرسة القرآنية وأثرها في تقوية النظام التربوي، سلمان نصر، جريدة الفجر، 17 جوان، 2001، (ص:19).

(56) هدية الألباب في جواهر الأدب، (ص:07، 08).

ساهمت هذه الأرجوزة وأمثالها التي كانت تحفظ للصبيان في المدارس القرآنية بدور كبير في غرس حب الوطن والمحافظة عليه وخدمته، والدفاع عن الثوابت الوطنية.

4. العادات والتقاليد: لقد كان للتعليم القرآني المغاربي الدور الكبير في المحافظة على العادات والتقاليد الموروثة من الآباء والأجداد، ونبذ العادات والتقاليد الدخيلة على ديننا ومجتمعنا، ومن ذلك: المحافظة على الهدنام المحترم: الذي كان سائدا ومنشرا في مجتمعنا والمتمثل في القميص والقلنسوة، وكان المؤدب يعزر ويؤنب من يأتي بدون قميص أو حاسر الرأس، ويرجعه لارتدائها، بخلاف ما هو حاصل في بعض المدارس الحديثة من ارتداء الطلبة لملابس لا تليق بأهل القرآن.

العناية بالنظافة: كان المؤدب يربي تلاميذه على النظافة، ومن ذلك التزامهم بقص الأظافر وحلاقة الشعر المحترمة التي تتماشى مع ديننا وأعرافنا وتقاليدنا، بخلاف ما هو حاصل اليوم في بعض المدارس من عدم اهتمام المعلم بحلقات الشعر الغربية عن ديننا وعرفنا وتقاليدنا.

متانة الحفظ: المحافظة على الطريقة التقليدية القديمة في الحفظ باستخدام الألواح كان لها الأثر الكبير في ترسيخ حفظ الناشئة والتمكن من الرسم والضبط، بخلاف الطرق الحديثة التي تعتمد على المصاحف، فتتميز غالبا بضعف الحفظ وعدم إتقان الرسم والضبط والكتابة لاعتمادهم الدائم على المصحف.

ومعالم العليم القرآني في تربية الناشئة على الوسطية كثيرة، وهناك معالم أخرى تستحق الدراسة والبيان كالمحافظة على المرجعية، والقضاء على الأمية، ...، واقتصرنا في هذا البحث على ما ذكر مراعاة لعدد الصفحات المحدد في هذا الملتقى.

المطلب الرابع: أثر الطابع المغاربي في التعليم القرآني

على العمق التربوي الوسطي لدى الناشئة

يتضمن هذا المطلب النقاط الآتية:

أولا: علاقة الطريقة التقليدية برسم حدود التربية لدى الناشئة

إن من أكبر مزايا الطريقة التقليدية في التعليم القرآني في المغرب العربي خاصة وربها في العالم الإسلامي عامة هو أنها رسخت مبادئ التربية للمتعلم ولم تكن تهتم بالتعليم والتحفيظ فقط ومن ذلك:

1. مكانة المربي (معلم القرآن): فهو شخصية مهيبة ومحترمة وكلمته مسموعة ونافذة من طرف الآباء والأبناء على حد سواء فهو من يحدد مستوى الولد ويختار له طريقة الدراسة والتوقيت وحتى العقوبة، ولا يقف في وجهه أحد، خلافا لما هو سائد في زماننا إذ تشور العائلة كلها أحيانا لأن معلم القرآن أذب ابنهم لعدم حفظه أو لجرم ارتكبه... وهو ما أنقص من قيمة المعلم عما كان عليه في السابق فلا يعدوا أن يكون أجيرا على مهنة في كثير من المدارس القرآنية.

كما أن المربي قديما كان يسأل في أمور الدين كالفقه والحديث وهو ما أدخلته المدرسة الأندلسية على مدرسة المغرب العربي، فكان المربي متكامل المعارف، مهيب الجانب، له قدسية يحترمها الجميع.

2. الإملاء الجماعي: وفيه من الأدب ما فيه، إذ يتعلم الولد عدم مقاطعة غيره، ويعرف مكانة الشيخ العلمية وقدرته على الحفظ والإملاء فيزداد تعظيمه وتبجيله في النفس، كما تضيف طريقة التحلّق حول المربي مهابة للمجلس وأدبا ونظاما بين الجالسين... عكس ما هو موجود في الطريقة الحديثة والتي يأخذ فيها المتعلم الجزء المراد حفظه من المصحف.

3. الانتفاء للمسجد أو الزاوية: وهو أمر موجود في الطريقة التقليدية والحديثة لكن معالمة خفت في الطريقة الحديثة فكلما كثرت المدارس القرآنية أو جمعيات التحفيظ، فتجد الوالدين يغيرون أبناءهم من مدرسة إلى أخرى لأنفه الأسباب فلا يكون له ارتباط نفسي ولا علمي ولا مرجعي مع مدرسة قرآنية أو معهد علمي ولا ارتباط وثيق مع معلمه ومريه.

ثانيا: الخلل الواقع في الطريقة الحديثة وعلاقته بالجانب التربوي:

إذا أردنا أن نحدد بعض النقاط التي قد تكون سببا في الخلل الملاحظ في الجانب التربوي في بعض هاته المدارس أو جلها فإن الأمر سيكون شاقا لأسباب أهمها تعميم الحكم في بعض ما سيورد من نقاط قد يكون في مدارس دون أخرى بل وفي أقسام دون أخرى باعتبار المعلم أحيانا وباعتبار سن التلاميذ أحيانا أخرى وأهم هاته النقاط ما يلي:

كثرة الطلبة في الحلقة: يعد الإكثار من الطلبة في الحلقة الواحدة تميعا لموضوع التربية إذ يصعب على المعلم متابعة كل التلاميذ ومراقبتهم ويتجلى ذلك في كثرة الدخول والخروج وضبطه والحفظ ومتابعته... وهذه معالم مهمة تضعيكلما كثر العدد.

ضعف المتابعة: فللمتابعة الجادة تمنع التلميذ من الوقوع في كثير من المحاذير التي تتعلق بالغياب والتأخر ونسيان المحفوظ وعدم المراجعة بل وقد تكون هاته المحاذير خطيرة على الأولاد إذا تعلقت بالأمر الجنسية مثلا.

عدم الانضباط بوقت محدد: وهذا الأمر له جانبان كلاهما يعتبر خللا تربويا:

• عدم الانضباط الذي تتسبب فيه الإدارة أو المعلم: فقد يأتي التلميذ إلى المدرسة ويبقى مدة طويلة ينتظر المعلم في الشارع بعيدا عن رقابة الجميع فيتعلم ما يفسد أخلاقه ويحرم تربيته... .

• عدم الانضباط الذي يتسبب فيه التلاميذ لأسباب مختلفة وهذه ظاهرة تقض مضجع المربين وتفسد البرامج المقررة في الحلقات... . وإما بسبب استهتار التلاميذ أنفسهم وعدم حزم الإدارة أو المعلم معهم وكل هذا كفيل بأن يفتح المجال واسعا للتسيب، وهو أمر مغل.

عدم مراعاة الفروق الفردية بين الطلاب: وهو أمر في غاية الأهمية، إذ أن إغفاله يسبب إضرارا بالتلاميذ والمتعلمين، فينشغل بعض المربين بالمتميزين ويحملون كل أفراد الحلقة عليهم وهو أمر خاطئ كما أن حمل المتفوقين على الضعاف في الحلقة يعتبر إضرارا بهم أيضا، كما أن الفروق الفردية قد تظهر في الجانب المادي والنفسية وكلها تحتاج مراعاة ومتابعة جادة.

عدم اختيار المعلمين الأكفاء: الفرق بين الطريقة القديمة والحديثة في اختيار المعلمين أنه لا يتقدم لممارسة

هذه المهمة الجليلة إلا الأكفاء، هذا في الطريقة القديمة أما في الطريقة الحديثة فقد تصدّر للتعليم القرآني عدد من الحفظة للقرآن الكريم والذين لا يملكون من مؤهلات التعليم إلا حفظ القرآن فقط وهو أمر من شأنه أن يوقع خلافا كبيرا في الجانب التربوي الذي يكون مصاحبا بالضرورة لعملية التحفيظ القرآني.

استهانة بعض الآباء واستهتارهم: للأسف يتعامل عدد من الآباء مع مشروع التعليم القرآني بمتهمى البرودة فلا يهيمه انضمام ابنه لأحد المدارس القرآنية من عدمه فضلا على أن يهتم بحفظه وتربيته وتعلمه. . . وهذا ما يجعل بعض التلاميذ يتوقفون عن الحفظ والتعلم لأتفه الأسباب وقد يجعلهم في كثير من المرات يتقلون بين المدارس القرآنية بإرادتهم وهو أحد مظاهر الاستهتار الذي يسبب خلافا كبيرا لدى المتعلم بالدرجة الأولى ثم لدى المدرسة القرآنية بالدرجة الثانية.

ثالثا: توحيد المرجعية: لدى الناشئة وأثره على الجانب التربوي لدى المنخرطين في المدارس القرآنية
توحيد المرجعية الفقهية والقرائية في المدارس القرآنية بالغرب الإسلامي كان له الأثر الكبير في تربية الناشئة على الوسطية والاعتدال ومجانبة الغلو والتطرف والانحراف، وذلك عن طريق غرس روح التعاون والائتلاف والتسامح، والعمل كيد واحدة للمحافظة على وحدة وطننا وأمتنا وحماتها من كل ما من شأنه أن يصدع أمنها ويكون سببا في زرع الفتنة والنزاع والتفرق والشقاق والاضطراب...

والتأمل في واقع المدارس القرآنية العاملة في الساحة يلمس بوضوح ثمرة جهودها، وذلك من خلال مشاركتها الفعالة في مختلف التظاهرات والحملات التطوعية التي تهدف إلى خدمة المجتمع، كالمساهمة في حملات النظافة والتشجير ومساعدة الفقراء والمحتاجين والمنكوبين...

الخاتمة

أولا: النتائج: وفي الختام يمكن تلخيص النتائج في النقاط الآتية:

- ضرورة تعريف الطلبة بمفهوم الوسطية والاعتدال والمصطلحات المضادة لها كالغلو والتطرف.
- على المعلم أن يعلم أن تعليم القرآن يتضمن حفظ حروفه والقيام بحدوده المتمثل في الجانب التربوي، فلا يحاول تغليب جانب على آخر.
- المرجعية الفقهية والقرائية لها دور كبير في تعميق الأمن الفكري لدى الناشئة.
- من معالم الوسطية والاعتدال في التعليم القرآني: الالتزام بالمذهب المالكي، والتقيد بالقراءة الواحدة، والحفاظ على الثوابت.

• الطابع المغاربي في التعليم القرآني له تأثير كبير على العمق التربوي الوسطي لدى الناشئة.

ثانيا: التوصيات: ومنها:

- استمرار عقد مثل هذا الملتقى الدولي المبارك، والدورات العلمية، والمسابقات العلمية التي تدعو إلى الوسطية والاعتدال وتعزيز الأمن الفكري خاصة لدى طلاب المرحلة الجامعية.
- محاولة إتاحة الفرصة للحواضن القرآنية لعرض التجارب الناجحة في مجال نشر الأمن الفكري.

- تفعيل دور المدارس القرآنية في العمل على تعميق معاني الوسطية وتعزيز الأمن الفكري وذلك بالتنسيق والتعاون مع جميع الجهات المختصة.
 - على السلطات دعم المدارس القرآنية بكل الوسائل والإمكانيات اللازمة، حتى تقوم بدورها الحضاري في غرس معاني الاعتدال والأمن الفكري لدى الناشئة على أكمل وجه.
 - العمل على إعداد المناهج والبرامج التي تساعد المدارس القرآنية على زرع معاني الوسطية والاعتدال للناشئة، وتجنبيهم الوقوع في التطرف والغلو.
- وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

- فهرس المصادر والمراجع

- آداب المعلمين، محمد بن سحنون، تحقيق محمد العروسي المطوي، دار الكتب الشارقة، تونس، الطبعة الثانية.
- الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، شهاب الدين أبو العباس أحمد بن خالد بن محمد الناصري الدرعي الجعفري السلاوي، تحقيق: جعفر الناصري / محمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء.
- أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع، عبد الرحمان النحلوي، دار الفكر، الطبعة الخامسة والعشرون، 2007م.
- اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، ابن تيمية، تحقيق: ناصر عبد الكريم العقل، دار عالم الكتب، بيروت، لبنان، الطبعة: السابعة، 1419هـ.
- تاج العروس من جواهر القاموس، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، تحقيق مجموعة من المحققين، الناشر، دار الهداية.
- تاريخ الجزائر الثقافي، أبو القاسم سعد الله، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، الطبعة: طبعة خاصة، 2007م.
- التربية ومتطلباتها، بوقلجة غياث، ديوان المطبوعات الجامعية، 1984م.
- التوقيف على مهات التعاريف، محمد عبد الرؤوف المناوي، تحقيق: د. محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر، دار الفكر، بيروت، دمشق، الطبعة الأولى، 1410هـ.
- جامع البيان في تأويل القرآن، بن جرير الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، 1420هـ.
- الرسالة المفصلة لأحوال المتعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين للقباسي، تحقيق: أحمد خالد، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، الطبعة الأولى، 1986م.
- زوايا العلم والقرآن في الجزائر، محمد النسيب، دار الفكر، الجزائر، دت.
- سنن الترمذي، للإمام محمد بن عيسى الترمذي، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، 1998م.
- شرح مقدمة التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي، د مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار، اعنتى بها: بدر بن ناصر بن صالح الجبر، دار ابن الجوزي، الطبعة: الأولى، 1431 هـ.
- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري، أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة: الرابعة 1987 م.
- صحيح البخاري للإمام محمد بن إسماعيل البخاري، دار الشعب، القاهرة، الطبعة: الأولى، 1407هـ/1987م.
- صحيح مسلم للإمام مسلم بن الحجاج القشيري، دار الجيل بيروت + دار الأفاق الجديدة. بيروت.
- طريق الهداية مبادئ ومقدمات علم التوحيد عند أهل السنة والجماعة، محمد يسري، الطبعة: الثانية 1427هـ.
- عناية المسلمين بالوقف خدمة للقرآن الكريم، عبد الوهاب بن إبراهيم أبو سليمان، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف، دت.
- فتح الباري، ابن حجر، دار المعرفة، بيروت، 1379هـ.
- الفوائد الجميلة على الآيات الجميلة، حسين بن علي الشوشاوي، تحقيق عزوزي إدريس، وزارة الأوقاف والشؤون

الإسلامية، دت.

- القراء والقراءات في المغرب، سعيد أعراب، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، 1410هـ.
- قراءة الإمام نافع عند المغاربة من رواية أبي سعيد ورش، عبد الهادي حميتو، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، 1424هـ.
- لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت، الطبعة: الثالثة، 1414 هـ.
- مباحث في المذهب المالكي بالمغرب، عمر الجيدي، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، الطبعة الأولى، 1993م.
- مجلة البحوث الإسلامية، المؤلف: الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء، العدد 72.
- المدخل لدراسة القرآن الكريم، محمد بن محمد أبو شُهبة، مكتبة السنة - القاهرة، الطبعة: الثانية، 1423 هـ.
- المدرسة القرآنية وأثرها في تقوية النظام التربوي، سلمان نصر، جريدة الفجر، 17 جوان، 2001م.
- المذهب المالكي مدارسه ومؤلفاته خصائصه وسناته، محمد المختار محمد المامي، مركز زايد للتراث والتاريخ، الإمارات، الطبعة الأولى، 2002م.
- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، (إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد التجار)، دار الدعوة، مصر.
- معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، الطبعة: 1399هـ.
- معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، محمد بن أحمد بن عثمان بن قبايذ الذهبي، تحقيق: بشار عواد معروف، شعيب الأرنؤوط، صالح مهدي عباس، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، 1404هـ.
- المغرب مالكي، لماذا؟، الدكتور محمد الروكي، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 2003م..
- المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية، دمشق بيروت، الطبعة: الأولى، 1412 هـ.
- المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، الدكتور جواد علي، دار الساقى، الطبعة الرابعة، 1422هـ.
- مقال بعنوان الشيخ الحسين حمادي ومنهجه في التعليم القرآني، أ. د عبد الكريم بوغزالة، الصادق ذهب، مجلة المنهل، مخبر إسهامات علماء الجزائر في إثراء العلوم الإسلامية، مطبعة سامي للطباعة والنشر والتوزيع، الوادي، ع: 3، س: 02، جوان: 2016.
- مقال بعنوان: "حكم مصليات الأعياد وهل تأخذ حكم المساجد"، مجلة البحوث الإسلامية، الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء، العدد 79، الإصدار: من رجب إلى شوال لسنة 1427هـ.
- مقدمة ابن خلدون، عبد الرحمان ابن خلدون، تحقيق عبد الله محمد الدرويش، دار يعرب، دمشق، ط1، 1425هـ/2004م.
- مناسك الحج والعمرة، ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الطبعة: الأولى.
- هدية الألباب في جواهر الأدب، الشيخ حسين أفندي الجسر، لا ط، دت.